دور "عُمَان" في الصراع الأنجلو- فرنسي في الشرق (١٧٩٨-١٨١٠م)

د أسمهان مصطفى توفيق خليل
كلية الآداب – جامعة بني سويف

كانت مياه الخليج العربي والمحيط الهندي مسرحًا للصراع بين القوى الأوربية الرئيسة المتنافسة على التجارة الشرقية، حيث كان البرتغاليون –هم- السباقون في الخليج العربي منذ عام ١٥٠٦م.، ثم الهولنديون الذين بسطوا سيطرتهم التجارية على المنطقة، ثم انجلترا ممثلة في شركة الهند الشرقية الانجليزية التي تأسست عام ١٦٠٠م- وشرع ممثلوها في إيجاد موطئ قدم لهم في الخليج ولاسيما في الساحل الشرقي منه؛ إذ اتخذوا من جاسك وبندر عباس وبوشهر ثم البصرة شمالًا مقرات ملائمة لترويج تجارتهم في أسواق المنطقة مع مطلع القرن السابع عشر، وأسسوا فيها وكالات تجارية-، وأخيرًا فرنسا ممثلة في شركة الهند الشرقية الفرنسية التي وصل روادها إلى الشواطئ الهندية عام ١٦٦١م.، وأسست وكالتها عام ١٦٦٤م في بندر عباس[١]، والتي جاء دخولها متأخرًا عن الدول الأوروبية الأخرى، ومع ذلك أصبحت أقوى وأعند منافس لبريطانيا في المنطقة.

وفي الوقت نفسه استطاعت عمان خلال الفترة منذ بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر حتى النصف الأول من القرن الثامن عشر أن تصبح أعظم قوة بحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي- المياه الشرقية-، وظهر تفوقهاواضحًا بنجاح العمانيين في التغلب على منافسيهم الأوروبيين والإيرانيين – خاصة- بعد انهيار السيطرة البرتغالية وانشغال إيران بشؤونها الداخلية مما هيأ لعمان الفرصة لتأكيد سيادتها على شواطئ الخليج العربي[٢]، ويقرر المؤرخ الانجليزي كوبلان أن قوة عمان البحرية أصبحت في القرن الثامن عشر على درجة تخشاها الأساطيل البريطانية والهولندية في المحيط الهندي [٣].

وخلال القرن الثامن عشر اشتد التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا، وبدأت المنطقة تشهد تطورات جديدة منذ منتصف القرن الثامن عشر نتيجة لعدة

عوامل منها ازدياد إنتاج أوربا نتيجة للتطورات الاقتصادية والصناعية فيها، وبالتالي زادت أهمية الوصول إلى الشرق – وبخاصة الهند – كأسواق لتصريف المنتجات المصنعة، وللحصول على المواد الأولية؛ ومن ثم بدأ البحر الأحمر والخليج العربي– اللذان يمثلان ذراعين مدتهما الطبيعة لوصل الهند بأوروبا على حد قول وزير البحرية الفرنسية المارشال دي كاستري[٤] – يستعيدان أهميتهما كطريقين للتجارة العالمية، وحيث إن بريطانيا قد أصبحت في تلك الفترة أكثر الدول الأوروبية تقدمًا في الصناعة، فقد تمكنت من خلال شركة الهند الشرقية البريطانية من توطيد نفوذها التجاري في الهند، وأصبحت الهند– درة التاج البريطاني– أهم مناطق النفوذ البريطاني على الإطلاق خاصة بعد حرب السنوات السبع (١٧٥٦–١٧٦٣م)، التي أفقدت بريطانيا فيها فرنسا معظم مستعمراتها في أمريكا والهند، وخلا الميدان لبريطانيا، وانفردت بالنفوذ في الخليج العربي، واحتلت تجارتها المكان الأول في العراق وإيران[٥]. ويمكن القول أن بريطانيا كانت ترى أن سيطرتها على الخليج العربي تعادل سيطرتها على الشرق الأوسط بأكمله.

غير أن فرنسا ظل هدفها الوصول إلى منطقة الخليج العربي، والعمل على غزو الهند واسترجاع المناطق التي تنازلت عنها لبريطانيا بمقتضى معاهدة الصلح التي وقعت بين البلدين في باريس سنة ١٧٦٣م في أعقاب حرب السنوات السبع[٦].

وبعد قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م تجددحماسفرنسا وطموحاتها التجارية، حيث سادت الرغبة في استرداد الهيبة الفرنسية عن طريق التوسع، وبلوغ المكان اللائق في الأسواق العالمية، ولكن توسع فرنسا في المنطقة كان يعني مواجهة لا مناص منها مع بريطانيا، التي كانت بلا شك أكبر قوة استعمارية في الشرق الأوسط.على أن هذا الصراع المدمر الذي نشب بين بريطانيا وفرنسا جراء السيطرة على المحيط الهندي، جعل هاتين الدولتين الأوربيتين تتنافسان على الحصول على تأييد بعض دول غرب آسيا خلال الفترة ما بين(١٧٩٨–١٨١٠م). ولما كانت عمان دولة بحرية واستراتيجية هامة من هذه الدول، فضلا عن استطاعة حاكمها سلطان بن

أحمد (١٧٩٣-١٨٠٤م)- الذي بلغت في عهده السيطرة العمانية على الخليج العربي أقصى حد لها في الاتساع- أن يكون له المقام الأول في توجيه سياسة الخليج العربي، فقد سعت كلتا الدولتين بإلحاح إلى كسب تأييدها(٧).

هكذا تحملت عمان عواقب اشتعال المنافسة مجددا بين فرنسا وبريطانيا مع قيام الثورة الفرنسية، بأن أصبحت ساحة المواجهة بين الدولتين -بسبب موقعها -ونظرًا لأهمية أسطول مسقط البحري كأداة نقل تجارية كبيرة بين الخليج والمستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي، اتجه تفكير الفرنسيين إلى إقامة قاعدة بحرية لهم في مسقط(٨).

وما كادت فرنسا تفرغ من ثورتها حتى اقترحت لجنة الشؤون الخارجية الفرنسية في ٣٠ مارس ١٧٩٥م إقامة قنصلية فرنسية في مسقط تكون ذات فائدة لتجارتها في الخليج العربي، والتعرف على تحركات الإنجليز في مياه المحيط الهندي، وكذلك دراسة أحوال المنطقة للتعرف على طبيعتها وسكانها وأهميتها الملاحية والتجارية، لاسيما التعرف على طرقها ليتمكن الفرنسيون من استخدامها في حال غزوهم للمشرق العربي(٩). ولذلك أرسلت بوشامب Beauchamp كقنصل لها في مسقط، في مهمة لبحث الموقف بالخليج العربي، وقد قام بوشمب بجولة في أرجاء الدولة العثمانية قبل وصوله إلى مسقط استغرقت وقتًا طويلاً، حتى فوجئ وهو في حلب بالغزو الفرنسي لمصر. فأصدرت الدولة العثمانية أمرا بالقبض على الرعايا الفرنسيين في أنحاء الدولة العثمانية، وهرب هذا المبعوث إلى مصر(١٠). مما أضاع على فرنسا فرصة تأسيس القنصلية.

على أية حال كانت بعثة بوشامب واحدة من تلك البعثات العديدة التي كانت فرنسا تبعث بها إلى بلدان الشرق بهدف استقراء الأوضاع، للكشف عن أفضل الطرق لتضييق الخناق على غريمتها بريطانيا في الهند، ولعل من أبرز هذه البعثات بعثة "أوليفير" و "بروجيير"، التي بقيت قرابة خمس سنوات بين إستانبول والقاهرة وطهران وكان من أهم توصياتها احتلال فرنسا لمصر(١١).

في أعقاب الثورة الفرنسية ١٧٨٩م. اتسع نطاق الصراعات بين دول أوروبا وخاصة بين إنجلترا وفرنسا، حيث حاولت فرنسا بقيادة نابوليون بونابرت NapoleonBonabate اجتياز المانش إلى إنجلترا، فأدى ذلك إلى صراع في حوض البحر المتوسط (الليفانت)، ثم إلى حوض البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي بين سواحل شرق أفريقيا الشرقية وسواحل غرب الهند الغربية باستيلاء الإنجليز على الكاب (رأس الرجاء الصالح)، ونزول الحملة الفرنسية إلى مصر(١٢).

هكذا ارتأت فرنسا في حملتها على مصر سنة ١٧٩٨م. طريقًا لتحقيق حلمها القديم، وهو إنشاء إمبراطورية فرنسية عريضة في المشرق العربي للسيطرة على مقدرات المنطقة، والوصول من خلالها إلى الهند والشرق الأقصى. وبالتالي الانتقام لكرامتها بعد الهزيمة التي منيت بها في الهند أمام الإنجليز، ومن ثم كانت مصر بالنسبة لفرنسا قاعدة ذات موقع استراتيجي ممتاز يكفل سهولة السيطرة على المنطقة، فلذلك دأبت على الوصول إليها بكافة السبل(١٣).

والجدير بالذكر أن حكومة الإدارة بفرنسا عرضت على نابوليون أن يقود خمسين ألف جندي وبحار –تم جمعهم في برست –لغزو إنجلترا، لكنه رفضالمشروع بعد دراسته، وحذر حكومة الإدارة منه في خطاب بتاريخ ٢٣ فبراير ١٧٩٨م، وأشار إلى إمكانية إرسال حملة إلى الشرق وتهديد تجارة إنجلترا مع الهند، وقال: "أنه في ظل الانهيار التدريجي للدولة العثمانية، فإنه بروح جسور ورجال شجعان جوعى يمكن تشكيل الأمور، وتكوين إمبراطورية. إن إنجلترا تحكم المحيطات ولكن قبضتها على البحر المتوسط يمكن خلخلتها بالاستيلاء على مالطة، وقبضتها على الهند يمكن إضعافها بالاستيلاء على مصر، ففي مصر حيث العمالة رخيصة يمكن بالفرنكات والتفكير السليم بناء أسطول، ويمكن بالشجاعة والخيال الخصب دفع هذا الأسطول عبر البحر والمحيط ليصل إلى الهند والاستيلاء من النظام الاستعماري البريطاني على أغلى ممتلكاته"(١٤).

ولهذا قررت انجلترا حماية مصر من كل تهديد فرنسي بهدف منع الفرنسيين من السيطرة على البحر الأحمر، ويعلق نقولا الترك- أحد الكتاب المعاصرين للحملة الفرنسية في مصر- قائلا: "وأما الإنجليز لما بلغهم خروج هذه العمارة العظيمة، وظنوا أنهم قاصدون بلدانهم، فحصنوا ثغورهم ومكاناتهم. ولما حققوا أنهم قصدوا الديار المصرية، جهزوا أربعة عشر مركبًا بكلك كبار وصاروا إلى محاربتهم؛ لأنه كان بين الإنجليز والفرنساوية عداوة عظيمة وحقود قديمة، وقد تسلموا بعض بلدان في الهند كانت للفرنساويين. وبهذا السبب كان مسير الفرنساويين إلى الديار المصرية، مؤملين أنه بعد تملكهم الأمصار المصرية، سيسيرون في بحر السويس إلى بلاد الهند لأن المسافة قريبة"(١٥).

وبعد نزول الحملة الفرنسية إلى أرض مصر تأكد الإنجليز أن بونابرت يعمل على تنفيذ مخطط واسع النطاق في الشرق الأقصى، وأن مسقط واسطة العقد بين مصر الفرنسية والهند البريطانية؛ حيث كانا معا (مصر والهند) أهدافا رئيسة بل جوهرية في مشروع بونابرت نحو تقويض الإمبراطورية الإنجليزية وقيام إمبراطورية فرنسية(١٦).ولذا اندفعت بقوة إلى إضعاف نشاط الفرنسيين من خلال أسطولها الكبير والواسع الانتشار في المحيط الهندي وبحر العرب من أجل السيطرة على طريق رأس الرجاء الصالح، وعلى مضائق البحار، كالبحر الأحمر والخليج (١٧). وكان أول إجراء اتخذته بريطانيا لمواجهة الحملة هو تحطيم الأسطول الفرنسي الراسي في ميناء الإسكندرية، مما ترك الحملة غير قادرة على الاتصال بالوطن الأم – فرنسا- كما صدرت الأوامر إلى بومباي بالتحرك لاحتلال جزيرة بريم الواقعة في أضيق نقطة في مدخل باب المندب، وذلك لمنع الفرنسيين من محاولة الاتصال بالمحيط الهندي عبر البحر الأحمر(١٨).

هكذا خلقت السياسة الفرنسية في الشرق استراتيجية بريطانية جديدة في آسيا خلال هذه المرحلة، مفادها أن أصبح الخليج العربي واحدا من خطوط الدفاع الرئيسة لبريطانيا العظمى في دفاعها عن مستعمراتها في الهند. وامتدت الحرب

الدبلوماسية بين فرنسا وإنجلترا إلى أربعة مناطق: مصر وبغداد وبلاد فارس والخليج العربي وبخاصة "عمان".

بريطانيا وفرنسا في عمان بين المنافسة والصدام

وكانت بريطانيا تعد "عمان" مفتاح الخليج- الذي تعده ضمن مناطق نفوذها- وهمزة الوصل إلى الهند، هذا فضلا عن أن بريطانيا قد وضعت الخليج في مجال استراتيجيتها انطلاقا من إيمانها القائم على أن الدولة التي تسيطر على الخليج العربي وعلى ساحل عمان تستطيع أن تتحكم وتحكم جزيرة العرب والعراق وإيران وأفريقيا، وتغلق قناة السويس(١٩) .

ولعل هذا يفسر قيام شركة الهند الشرقية البريطانية بالعمل على توسيع سلطاتها في الهند على حساب الحكام الهنود المحليين الهندوس والمسلمين، وعلى حساب الاستعمار الفرنسي الذي كان ينقرض هناك خلال حرب السنوات السبع، وأصبحت هذه الشركة هى المسئولة -إلى حد كبير- عن تجارة الهند مع ما هو وراءها. وخلال القرن الثامن عشر نمت بوضوح العلاقات الاقتصادية بين الهند البريطانية من جهة، وفارس وشبه الجزيرة العربية وما وراءها من جهة ثانية. وكانت الشركة لا تعطي اهتماما كبيرا لما تتعرض له سفنها من هجمات المجاهدين القراصنة في الخليج العربي، كذلك لم تعن بالنشاط العماني واسع النطاق في الخليج وفي شرق أفريقيا، ولا على محاولات مسقط للسيطرة على الساحل الشرقي للخليج بما فيه من موانئ فارسية هامة على رأسها بندر عباس، والسيطرة على عتوب البحرين، وفرض اليد العليا المسقطية حتى على البصرة التابعة لبغداد - وكان العراق حينذاك تحت السيادة العثمانية- حقيقة لم تستطع مسقط السيطرة على البحرين، ولم تستأجر إلا بندر عباس فقط ، فضلا على أنها كانت تتعرض لضغط عسكري وأيديولوجي من جانب آل سعود، إلا أن مسقط كانت ذات ثقل كبير لاتساع نفوذها ولمجالات نشاطها، ولأنها كانت تملك أكبر أسطول إسلامي في

المياه الإسلامية الجنوبية، وكانت صاحبة أول مفهوم لإمبراطورية عربية إسلامية تمتد من عمان حتى شرق افريقيا(٢٠).

وجاءت سياسة نابوليون بونابرت امتدادا للمحاولات الفرنسية السابقة والتي قام بها كل من روسو وروزيلي وبوشامب وأوليفير، وكانت تهدف في المقام الأول إلى ضرب النفوذ البريطاني في الهند عن طريق توثيق علاقات فرنسا السياسية مع الأمراء العرب في سواحل الخليج والجزيرة العربية وسواحل الهند. ومن ثم استشعر الجنرال ويلسلي Wellesley الذي تسلم زمام الأمور كحاكم عام للهند في عام ١٧٩٨م خطورة النشاط الفرنسي في مسقط –التي تتعاظم أهميتها للمواصلات البريطانية إلى الهند –، خاصة بعد أن ثارت شكوك في قيام حكومة مسقط بالتنصل من موقفها الحيادي طبقًا للتقارير التي أشارت إلى قيام سفن مسقط التجارية بنقل المعلومات عن تحركات السفن البريطانية إلى جزيرة موريشيوس، يضاف إلى ذلك المرور المتكرر من جانب الفرنسيين عبر مسقط وهم في طريقهم إلى فارس والشرق الأدنى(٢١).

لهذا سعت بريطانيا إلى تفويت الفرصة على الفرنسيين الطامعين في الحصول على موطئ قدم لهم في المنطقة، وكلفت ميرزا مهدي على خان –المقيم البريطاني في بوشهر– بعقد اتفاقية مع السيد سلطان بن أحمد، ونجح ميرزا مهدي في إبرام اتفاق في ١٢ اكتوبر ١٧٩٨م تعهد السيد سلطان بمقتضاه بألا يسمح للفرنسيين أو الهولنديين– حيث كانت هولندا تابعة لفرنسا في ذلك الوقت– بإقامة أية مراكز تجارية لهم في أراضيه، وطرد موظفيه الفرنسيين، وكذلك يمنع السفن الفرنسية من دخول موانيه بينما يسمح بذلك للسفن الإنجليزية، كما تعهد بأن يقف إلى جانب السفن الإنجليزية إذا ما نشب صراع بينها وبين السفن الفرنسية في مياهه ولكن ليس في خارجها في أعالي البحار، إذ آثر عدم التدخل(٢٢)، على حين احتفظ السلطان بامتيازاته التجارية مع المستعمرات الإنجليزية في الهند – التي تتمثل في استخراج المزيد من الملح من كلكتا وتوفير الخشب والماء لسفنه في موانئ بومباي

وكلكتا-[٢٣]. كما وعد ميرزا مهدي علي خان بتصفية خلافات السيد سلطان بن أحمد مع باشا بغداد ليتمكنا معا من مواجهة الخطر الوهابي، ويشير "أوزو" أن حكومة بومباي آثرت المراوغة وقتذاك دون علم السيد سلطان بن أحمد، فكان ممثلها في البصرة يصادق السعوديين في الوقت الذي يتفق مع باشا بغداد ليتعاونا معا ضد الخطر الوهابي على يد وكيل بريطانيا في مسقط[٢٤].

والجدير بالذكر أن السلطان رفض بشدة السماح بإقامة مركز بريطاني في مسقط بحجة أن ذلك سيثير عداء الفرنسيين والهولنديين، ومع أنه وافق في البداية على تعيين معتمد سياسي بريطاني إلا أنه عاد فسحب تلك الموافقة[٢٥]. ويذكر لوريمر أن هذا التراجع جاء بتأثير سمسار شركة الهند الشرقية الهندي المتعاون مع الفرنسيين، وهذا ما دفع ميرزا مهدي إلى عزله وتعيين سمسارا آخر بدلاً منه[٢٦]. ومن ناحية أخرى فقد أجاز سلطان مسقط للبريطانيين إقامة قاعدة عسكرية وتجارية في ميناء بندر عباس -الذي كان شاه إيران قد تنازل عنه لعمان على سبيل التأجير-[٢٧].

وبشكل عام نجح ميرزا مهدي علي خان بهذا الاتفاق في عرقلة النشاط الفرنسي وتعزيز المصالح البريطانية السياسية والتجارية في الخليج العربي برمته – نظرًا لأهمية موقع مسقط الجغرافي -وربما يرجع نجاح ميرزا مهدي في استمالة السيد سلطان للاستجابة للمطالب البريطانية إلى تصادف التفاوض حول الاتفاق المذكور مع مجيء الحملة الفرنسية على مصر التي أثارت موجة عارمة من الاستياء ضد الفرنسيين في العالم الإسلامي، فضلاً عن إدراك السيد سلطان بن أحمد -بحكم كونه تاجرًا له خبرته ومكانته -قوة الانجليز وزيادة سيطرتهم على تجارة الهند.

ولعل السبب الذي جعل بريطانيا تعجل بتوقيع تلك الاتفاقية مع مسقط يرجع إلى أن البريطانيين خشوا أن تتبع مسقط إمارة ميسور إلى المعسكر الفرنسي. ولما كان من أهم أسباب قيام شركة الهند الشرقية الإنجليزية هو بسط السيطرة البريطانية

على شبه القارة الهندية واستغلالها لتحقيق الأطماع البريطانية في بلاد الشرق[٢٨]، فقد تصدى لمقاومة امتداد النفوذ البريطاني في داخل الهند الأمير حيدر علي – حاكم إمارة ميسور–، وابنه فاتح على تيبو –الذي خلف أباه بين عامي (١٧٨٢-١٧٩٩م) –والذي ظل عدوا خطرًا للحكم البريطاني في الهند لاتصاله المستمر بالفرنسيين في جزيرة موريشيوس، واستخدامه لعدد كبير من الضباط الفرنسيين في جيشه[٢٩].وكانت مسقط قد ركزت تجارتها وأعمالها في التواصل مع الهند، وعقدت اتفاقية مع تيبو سلطان، الذي أرسل بعثة تجارية للإقامة بمسقط –وحتى منتصف القرن التاسع عشر كان منزل النواب ما يزال موجودا بالمدينة –وبسبب العلاقات التجارية الوثيقة بين الطرفين، انخفضت الرسوم على السلع من ١٠ الى ٦%[٣٠]، ومن ثم كان على حكومة بومباي أن تتبع نشاط بعثات الأمير حيدر علي وابنه إلى الدول الإسلامية المجاورة، والدور الذي يقوم به مبعوثهما المقيم في ميناء مسقط لدى حكام البوسعيد[٣١].

ولما كان بونابرت يأمل بأن يكون لفرنسا موطئ قدم في الشرق الأوسط، وأن ينقض على الوجود البريطاني في الهند، فقد تلاقت أطماعه وهوى فاتح علي تيبو– ألد أعداء بريطانيا– ولعل ظهور نابوليون على أنه صديق للخلافة وحاميًا للإسلام، أراد من ورائه أن يؤثر في نفوس المسلمين حول العالم وبشكل خاص مسلمي الهند الخاضعين للمملكة المتحدة، وسلطانهم تيبو صاحب، لكسب ولاء الأغلبية الإسلامية وتأييدهم.

وعندما تم تحطيم الأسطول الفرنسي في خليج أبو قير في أول أغسطس ١٧٩٨م على يد الاسطول البريطاني بقيادة نلسون، أرسلت حكومة الإدارة في باريس إلى نابوليون رسالة تقول: "تقدر الحكومة الموقف العصيب الذي أصبتم به، وأن جيش الشرق أصبح معزولا تماما عن الوطن الأم، ولهذا فإن الحكومة تترك لك حرية اتخاذ القرار فيما يجب القيام به، سواء بالصمود في مصر أو مواصلة الزحف إلى الهند وإثارة الانتفاضة الهندية الكبرى، بالتحالف مع الأمراء ضد إنجلترا أو

الزحف شمالا إلى القسطنطينية، واقتطاع القدر الأكبر من الإمبراطورية العثمانية. وأيا كانت الوجهة التي سوف تتجه إليها فإنه لا يخالج الحكومة أي شك في عبقرية قائدها العظيم، وفي حسن الحظ الذي يلازمه"[٣٢].

وعلى الرغم من أن الاتفاقية السالفة الذكر –المبرمة في ١٢ اكتوبر ١٧٩٨م بين سلطان مسقط والإنجليز –كانت بمثابة ضربة موجهة للمصالح الفرنسية في بحار الشرق إلا أنها –وغيرها من الصعوبات التي واجهت الحملة في مصر –لم تُعجز نابوليون، وآثر المضي قدمًا في مخططه ومهاجمة الهند التي كانت أساس حملته على مصر، ولما كان كسب ولاء ميسور ومسقط طريقه لذلك فقد قام بكتابة رسالة من القاهرة في ٢٥ يناير ١٧٩٩م إلى تيبو صاحب الذي كان أبرز الحكام المسلمين الذي يعول عليه في تحطيم القبضة الإنجليزية في الهند، ولما عُرف عن الجنرال فطنته ودهائه فقد فكر في كسب صداقة وود سلطان مسقط –مستغلاً العلاقات الطيبة التي كانت تجمعه بتيبو صاحب –أيضا بهذه الرسالة، وقام بإرسالها عن طريق مسقط وتضمنت في مطلعها عبارات موجهة لسلطان مسقط.

ونظرًا لنجاح حكام مسقط في استغلال موارد الدولة لتنشيط الملاحة والتجارة في الخليج العربي، والذي أدى إلى ازدهار التجارة العمانية، واحتلال مسقط المركز الأول في تجارة الخليج –مما أعطي للسيد سلطان بن أحمد الحق في حماية الملاحة في الخليج وإجبار السفن التجارية أن تزور مسقط أولا قبل توجهها شمالا نحو الخليج العربي–[٣٣]، فقد أدرك بونابرت أن المصالح الاقتصادية والتجارية لعمان أساس علاقتها الخارجية، ورأى بنفسه السفن التجارية العمانية التي تعبر ميناء السويس عندما كان في زيارة لهذا الميناء –نظرًا لعلاقاتها التجارية مع مصر العثمانية –[٣٤]، ومن ثم اختار (تجارة عمان وحمايتها) لتكون محور كلمته إلى السيد سلطان بن أحمد، على حين اختلف محور كلامه إلى تيبو سلطان؛ حيث دار حول الخلاص من السيطرة البريطانية على الهند، فكتب إلى السيد سلطان بن أحمد: "أكتب إليكم هذه الرسالة لأخبركم بالذي لا شك انه نما إلى علمكم وهو

وصول الجيش الفرنسي إلى مصر، وبما أنكم كنتم صديقا مخلصًا في مختلف الظروف، فإنني أود أن تكونوا على يقين برغبتنا في توفير الحماية اللازمة لسفنكم التجارية، وأرجو منكم كذلك أن تنقلوا نص هذا الخطاب إلى تيبو صاحب في أول فرصة يمكنكم أن تتصلوا به في الهند". بينما كتب لـ"تيبو صاحب" يقول: "الآن وقد بلغك نبأ وصولي إلى سواحل البحر الأحمر على رأس جيش وافر العدة لا يغلب، مدفوعًا برغبتي في تخليصكم من سيطرة الإنجليز، أود معرفة الوضع الذي أنت عليه الآن، كما أرغب أن تبعث إلى السويس برجال ذوي اقتدار للمداولة معهم"[٣٥]. وتدل كلمة نابوليون للسيد سلطان بن أحمد على إدراكهللعلاقات التجارية بين مسقط وسلطنة ميسور، ومحاولة استغلالها، مما يعكس أهمية مسقط في مخططهكنقطة تراسل على الأقل.

على أي حال، لما كان وكلاء شركة الهند الشرقية البريطانية متتبعين كل التحركات التي كان يقوم بها نابوليون في مصر، فقد تمكنوا من مصادرة رسالتهفي ميناء "مخا" قبل وصولها إلى أصحابها، وأرسلوها إلى بومباي، وهذا ما أيد شكوك حكومة بومباي حول انتهاك سلطان بن أحمد للاتفاقية التي وقعها مع البريطانيين، بناء على معلومات وصلت إليها تفيد بأن السلطان لا يزال يستخدم الفرنسيين في بلاطه، وأنه كان يتبادل الرسائل مع تيبو سلطان، ويُسهل مرور هدايا منه إلى شاه فارس، كما أن الوالي العماني بـ"زنجبار" أساء استقبال الأدميرال جون بلانكتBlanket –قائد الوحدة البحرية البريطانية –عندما رسا بأسطوله في زنجبار لتزويد الأسطول بالمؤن، فضلا عن سماح السلطان للفرنسيين الذين أسروا سفينة الشحن الإنجليزية Pearl أن يبيعوا حمولتها في سوق مسقط، واستقباله موفدا فرنسيًا؛ زار مسقط ليتفاوض معه باسم حكومته[٣٦]، وبالإضافة إلى ذلك فقد كشف الإنجليز في أبريل ١٧٩٩م تحركًا فرنسيًا في البنغال بمساندة حاكم أفغانستان – زمان شاه –وعدد من الشخصيات البارزة في مسقط من بينهم خلفان بن محمد والي مسقط، بهدف الإطاحة بالحكم البريطاني في الهند[٣٧]. والأهم مما سبق استمرار سلطان بن أحمد في علاقاته التجارية مع جزيرة موريشيوس وشراء السفن الإنجليزية

التي كان قد استولى عليها الفرنسيون، وتغافله عن اتخاذ الفرنسيين ميناء مسقط قاعدة لعملياتهم البحرية ضد الإنجليز[٣٨].

ولما كانت مسقط قد دخلت حسابات الاستراتيجية الحربية لحكومة الهند الإنجليزية منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر، فقد تطلب الأمر إزاء الشكوك تجاه هذه العلاقات العمانية–الفرنسية أن تلتزم حكومة الهند جانب الحذر، وما أن بدأ يتلاشى التهديد الذي كان يشكله الجيش الفرنسي –بعد أن توقف زحف قوات نابوليون على سوريا أمام قلعة عكا بعد مقاومتها للهجوم، واضطر إلى رفع الحصار والتراجع إلى مصر في ٢١ مايو ١٧٩٩م، وتراجع احتمال قيامه بزحف على الهند عن طريق العراق أو البحر الأحمر، وكذلك فرض بلانكت حصارًا محكمًا على السويس والقصير، وأغلق مضيق باب المندب في مايو بعد احتلال جزيرة بريم، إضافة إلى إخضاع الإنجليز إلى سلطنة ميسور وقتل تيبو سلطان في ٦ مايو ١٧٩٩م –[٣٩]،حتى اهتمت حكومة بومباي بإعطاء فاعلية أكثر لاتفاقية ١٧٩٨م التي سبق أن أبرمتها مع سلطنة مسقط وخاصة بعد ان اتضح لها ان الفرنسيين لم يأبهوا بها وحاولوا أن ينفدوا من خلال شروطها التي أصبحت غير سارية المفعول، خاصة بعد أن ترامى إلى حكومة بومباي من إرسال بونابرت أحد أقاربه إلى جزيرة موريشيوس في عام ١٨٠٠م للتعرف على مدى صلة الإنجليز بالأمراء العرب والمسلمين، فكلف ويلسلي الكابتن جون مالكوم John Malcolm بالمرور على مسقط خلال بعثته إلى بلاط شاه فارس، ليتعرف على الأحوال عن قرب، ويؤكد الاتفاق الذي عقده مهدي علي خان[٤٠].

وتمكن مالكوم من مقابلة سلطان مسقط، وأفاض معه في الحديث عن الأمة الفرنسية؛ وذكر: "أنها لا تحترم القوانين، ونقضت كل المواثيق، فاستولت على مصر وهيمنت على الطرق المؤدية إلى المدينتين المقدستين –مكة والمدينة –ولولا ستر الله الذي قيض لبريطانيا رد كيد الفرنسيين ولولا أن قضت رحمة الله أن ينزل بالفرنسيين الهزائم البينة لاستولت فرنسا على المدن المقدسة وأزالت العقيدة

الإسلامية من الوجود، كما أن فلول جيشهم البائس تبحث الآن لها عن مخرج لتعرض الشرق إلى ما لا يحمد عقباه"، وزاد مالكوم بأن الإنجليز هزموا تيبو صاحب حليف الفرنسيين، وأن سواحل الهند قد باتت جميعها تحت سيطرتهم، وقال مالكوم للسلطان أن الإنجليز يرحبون بالسفن العمانية إذا رحب السلطان بالصداقة الإنجليزية، أما إذا انحاز إلى الفرنسيين فإن السلطات البريطانية ستغلق في وجهه كل موانئ الهند، وقدم مالكوم للسلطان بعض الهدايا(٤١).

على أية حال وافق السلطان على عقد معاهدة جديدة مع بريطانيا أبرمت في ١٨ يناير ١٨٠٠م، أكدت على بنود اتفاقية ١٧٩٨م، وكان من أهم ما توصل إليه مالكوم موافقة السلطان أن يقيم مندوب بريطاني في مسقط كوكيل عن شركة الهند الشرقية البريطانية ولتمثيل مصالح بريطانيا في منطقة الخليج العربي؛ وبناء على هذه المعاهدة عُين الليفتنانتأرشيبالد بوجل Bogle – وكان من الجراحين العاملين في حكومة بومباي –كممثل سياسي لبريطانيا في مسقط(٤٢). وكان بوجل أول "مقيم" بريطاني في منطقة الخليج العربي، ولكنه لم يقم طويلا في عمان، إذ قضى نحبه أواخر عام ١٨٠٠م، وخلفه الكابتن دافيد سيتون David Seton الذي عمل طوال السنوات الثماني التي أقامها في مسقط على إرساء قواعد النفوذ البريطاني في عمان–لما كان لميناء مسقط الواقع على الطريق البحري المؤدي من بومباي إلى الخليج العربي والبحر الأحمر من أهمية استراتيجية فائقة–(٤٣).

ويتضح جليًا أن مالكوم حاول إثارة سلطان مسقط ضد الفرنسيين مستغلًا العاطفة الدينية التي يدرك جيدًا مدى تأثيرها على نفوس العرب، كما أنه استخدم التهديد بأمن تجارة السلطنة– التي تعد عصب الحياة لها– كوسيلة للضغط على السلطان للإذعان للإنجليز، ويتجلى دهاء الدبلوماسية الإنجليزية في التعامل مع قادة الشرق في اختيار "طبيب" ليقوم بمهام المعتمد الرسمي، لإلمامهم بنقاط ضعف الشرق، وأن صفته –الطبيب –تضفي على الوظيفة المناطة به مزيدًا من الهيبة

والفاعلية، خاصة وقد شاع أن السيد سلطان بن أحمد كان يسترشد في الشؤون السياسية بمشورة طبيبه الفرنسي.

على أي حال لقد كان خوف السلطان من حصار تجاري محتمل من قبل الإنجليز السبب الذي دعاه لعقد الاتفاقية، لا تفضيلاً شخصيًا للإنجليز الذين قد تكون أساليبهم مثيرة للقلق، على حين كان الفرنسيون يوجهون له اهتمامًا كبيرًا مقرونًا بالهدايا(٤٤).

وكان من المتوقع خلال الفترة التالية لبعثة مالكوم أن تنصرف بريطانيا عن شؤون الخليج، إلا أنها شهدت بعض الاضطراب بسبب محاولة فرنسا استئناف نشاطها في الشرق، فما كان من بريطانيا إلا أن تواصل جهودها لكي تعوق هذا النشاط، لذا استمرت مسقط وفارس تشكلان البؤرتين الرئيستين للتنافس الأنجلو– فرنسي خلال العشرة السنوات الأولى من القرن التاسع عشر – على نحو ما سنرى(٤٥).

وعقب اتفاقية ١٨٠٠م المذكورة –بين عاهل عمان وبريطانيا –فرضت التطورات الكبرى في أوروبا على الانجليز سرعة إخراج الحملة الفرنسية من مصر حتى لا يصبح وجودها ورقة يلعب بها نابوليون بونابرت على مائدة المفاوضات بطريقة قد تؤدي إلى تثبيتها في مصر. ولما كان خروج الحملة الفرنسية بأسرع وقت ممكن على هوى السلطان العثماني، لذلك تكاتفت الجهود العثمانية والإنجليزية في البحر المتوسط، والإنجليزية الهندية في إرسال عدة حملات إلى مصر؛ واحدة عثمانية من الشام، والثانية إنجليزية نزلت على شواطئ مصر الشمالية، وثالثة نزلت عند القصير، ورابعة عند السويس، فحلت الهزيمة بالفرنسيين ووقع بليار اتفاقية استسلام في القاهرة في ٢٧ يوليو ١٨٠١م، منفصلة عن الاتفاقية التي عقدها مينو في الإسكندرية في ٣٠ أغسطس١٨٠١م، إلا أن الاتفاقيتين تؤديان إلى نتيجة واحدة هي نقل الحملة الفرنسية على سفن إنجليزية وعثمانية إلى الوطن الأم فرنسا(٤٦).

موقف الأطراف الداخلية في عمان

غير أن إخفاق حملة نابوليون على مصر لم يثنه عن مواصلة السعي في مخططه الرامي إلى تحطيم قوة بريطانيا في الهند، ولما كان يولي عمان أهمية كبرى، وللدور الذي يمكن لهذا البلد أن يلعبه في المستقبل في سبيل تحقيق أهدافه، فقد ظل يسعى إلى التوصل لاتفاقية مع عمان، ومن ثم بدأت فرنسا تنتهج سياسة حاذقه تجاه سلطان بن أحمد بواسطة حاكم جزيرة فرنسا ماجالون Magallon (١٨٠٠-١٨٠٢م) الذي انتهز وقوع ثلاث سفن عمانية في أسر الفرنسيين، فأعاد السفن العمانية إلى السيد سلطان بن أحمد رافضا الإقرار بشرعية المصادرة، وسرعان ما تمت مراسلات بينهما، تولاها الشيخ علي -المناهض للإنجليز وأحد أنصار الأمير تيبو سلطان[٤٧].

وهكذا لم تضع اتفاقية ١٨٠٠م حدًا للتردد في سياسة مسقط تجاه كل من إنجلترا وفرنسا، بل استمرت تتغير تبعًا لقوة إحدى الدولتين، ومدى استجابتها لرغبات السلطان في الحصول على العون الذي يحتاجه، فعندما امتنعت بريطانيا عن تقديم المساعدة له في محاولته السيطرة على جزر البحرين عام ١٨٠١م -لأن ذلك يتعارض مع مصالحها -أعاد السيد سلطان اتصاله بالفرنسيين طالبا منهم العون، واستجابت فرنسا لطلبه، وقدمت له مساعدات عسكرية[٤٨]. وثمن سلطان بن أحمد ذلك، وكتب إلى ماجالون يقول: "إنه من المتعذر علينا أن نعرب لكم عن اغتباطنا بوصول القوات التي كان من فضلكم إرسالها إلينا وقد استقبلناها بذراعين مفتوحين وسنحرص دائمًا على أن نعتبرهم أخوة وأصدقاء لنا ونحن وحلفاؤنا مدينون لكم بها إلى أبعد حد مستطاع"[٤٩].

كذلك ظهر ميل سلطان بن أحمد إلى فرنسا في استقباله لأحد مبعوثي الحكومة الفرنسية دي ساتوفيل في أواخر عام ١٨٠١م، وأبقاه في مسقط قرابة خمسة عشر شهرًا، ورُوى عن ساتوفيل قوله: "عوملت أثناء إقامتي بمسقط معاملة ممتازة ودفعت عني جميع نفقاتي[٥٠]. كما أرسل السلطان مبعوثًا في أواخر عام

١٨٠٢م إلى جزيرة موريشيوس للتباحث مع ماجالون، وأعرب له عن استياء سلطان مسقط من الإنجليز، ورغبته في وضع مسقط تحت حماية الجمهورية الفرنسية، وأنه لا يمانع من استقبال وكيل فرنسي بمسقط، كما أرسل سلطان بن أحمد مع مبعوثه بعض الهدايا ومنها مجموعة من الجياد العربية ليبعث بها إلى بونابرت، فما كان من ماجالون إلا أن أهداه بندقيته الخاصة وبعض المدافع والذخيرة إلى السلطان(٥١). وتلك المواقف من قبل سلطان بن أحمد إن دلت على شيء فإنها تدل على أنه لم يعد لاتفاقيتي ١٧٩٨م و١٨٠٠م أي فاعلية في عزل عمان عن فرنسا، وأن علاقات الصداقة قد استؤنفت بينهما على نحو وثيق. وربما كان ميل سلطان بن أحمد إلى فرنسا راجعا إلى علمه بالسياسة الملتوية التي اتبعتها إنجلترا في ذلك الوقت، حيث كانت تحاول كسب ود أمير الوهابيين أثناء حربه ضد عمان(٥٢).

لقد كانت فرنسا بالفعل تركز اهتمامها خلال تلك الفترة على عمان أملاً في إمكانية غزو الهند مستغلة صلح إميان بينها وبين إنجلترا في ١٨٠٢م، والذي نتج عنه تخفيف الرقابة البريطانية على مواني المحيط الهندي، فكتب تاليران Talleran –وزير الخارجية الفرنسي –تقريرًا إلى نابوليون عام ١٨٠٢م ينبه فيه إلى الأهمية الاستراتيجية لمسقط، وأن إقامة علاقات تحالف مع حاكمها سيحقق له مخططه الأكبر في توجيه الضربة للبريطانيين في الهند، واقترح عليه أن يرسل بعثة إلى عمان، حدد له هويتها، وضرورة أن يكون لوكيلها صفة سياسية؛ لتأكيد صداقة فرنسا وعونها للعاهل العربي، وجمع معلومات دقيقة عن الإمام، وعلى ذلك تم تعيين الميجر دي كافيناك De Cavignac ممثلاً وقنصلاً لفرنسا في مسقط في يونية ١٨٠٢م(٥٣).

وفي مستهل عام ١٨٠٣م أبحر أسطول مكون من سبعة قطع متوجهًا إلى جزيرة موريشيوس بقيادة الجنرال ديكان Decaen –الحاكم الجديد للجزيرة والقائد العام الفرنسي في الشرق وبرفقته دي كافيناك، وقد زُود ديكان بتعليمات للقيام بمحاولات جادة لدعم السيطرة الفرنسية في المياه الشرقية، وكانت مسقط إحدى

النقاط الرئيسة التي شملتها مهمته[٥٤]، ثم أوفد دي كافيناك إلى مسقط مزودًا بالأوامر اللازمة للتباحث مع سلطان بن أحمد بشأن إقامة قنصلية ووكالة سياسية لفرنسا في مسقط. ولكنه ما كاد يصل إلى مسقط في أكتوبر ١٨٠٣م حتى اشتعلت الحرب من جديد بين إنجلترا وفرنسا[٥٥].

ويذكر كافيناك أنه استقبل بحماس من تجار عمان –والتي تتركز مصالحهم التجارية مع الجزر التابعة لفرنسا في المحيط الهندي –لكن رفض السيد سلطان بن أحمد لقاءه، وأبدى له الشيخ علي والسيد محمد بن خلفان –ابن حاكم مسقط السابق –أسفهما لحضوره بعد أن استؤنفت الحرب ثانية بين إنجلترا وفرنسا، وأعلماه بالاتفاقات المبرمة سنة ١٧٩٨م وسنة ١٨٠٠م بين حاكم عمان وشركة الهند الشرقية، وأن لمسقط عشرين سفينة كبيرة في الموانئ الإنجليزية في ساحل البنغال، وليس ثمة ريب في أنه سيتم الاستيلاء عليها لو قبل السلطان استقبال البعثة الفرنسية، ومع ذلك فإن سلطان بن أحمد سيسرّه أن يرى العلم الفرنسي في مسقط، وأن موانيه ستظل مفتوحة كالسابق للسفن الفرنسية،وعليه انسحبت البعثة الفرنسية على الفور من عمان إلى موريشيوس دون أن يُقدر لها النجاح في مهمتها [٥٦].

والجدير بالذكر أن موقف سلطان بن أحمد من بعثة دي كافيناك يتعارض وما عرف عن مبالغته في تودده للفرنسيين، وقوة العلاقات بينهما إلى حد تزويده بالمساعدات العسكرية من قبل فرنسا لضم جزر البحرين. ولعل ذلك يؤكد أن موقفه مرتبط بتغير الأوضاع الخارجية، وحرصه على المحافظة على كيان سلطنته بالانضمام إلى الكفة الرابحة والتي باستطاعتها التأثير على المنطقة، وخاصة في ظل أخبار الانتصارات البريطانية على الفرنسيين في مصر والهند.ولعل تأزم العلاقات بين سلطان بن أحمد وبين الوهابيين وعتوب البحرين والقواسم دفعه إلى مهادنة بريطانيا، وعدم التضحية بما يمكن أن تقدمه له من المساعدات لدرء الخطر الداهم به[٥٧]. بينما في حالة تقاربه من الفرنسيين فلن يكون أمام الحكومة البريطانية سوى أن تضع منطقته تحت حصار تجاري من جانب الهند[٥٨].

وعلى الرغم من التراجع الذي شهدته الدبلوماسية الفرنسية، إلا أن الجزر الفرنسية في المحيط الهندي أصبحت قاعدة مهمة لانقضاض السفن الفرنسية على السفن البريطانية مستغلين مسقط في كثير من تلك التحركات، واستطاعوا أن يسببوا للإنجليز خلال عشر سنوات خسائر تقدر بثلاث ملايين باون، من ناحية أخرى بذل الفرنسيون جهدًا كبيرًا في تنمية تجارتهم مع العرب، والعمانيين خاصة، الذين وجدوا عندهم استعدادًا لشراء ما يعرض للبيع من البضائع البريطانية المُستولى عليها(٥٩).

واستطاع الكابتن دافيد سيتون المحافظة على النفوذ الإنجليزي في مسقط طوال حكم السيد بدر بن سيف (١٨٠٤-١٨٠٦م) -الذي تولى حكم السلطنة بعد مقتل سلطان بن أحمد في نوفمبر ١٨٠٤م -وخاصة بعد مساعدته بحملة بحرية من حكومة بومباي في سنة ١٨٠٥م ضد القواسم في جزيرة (كشم قشم)(٦٠). وعلى الرغم من أن سيتون واجه صعوبات شديدة بسبب علاقة بدر بن سيف القوية بالفرنسيين، إلا أنه عمل على تأكيد اتفاقيتي ١٧٩٨ و١٨٠٠م، "وإن كان لم يمنح سوى دارًا صغيرة لسكناه لم يسمح له أن يرفع عليها علم بلاده"(٦١).

وكان وضع سعيد بن سلطان في بداية توليته للحكم دقيقًا للغاية، فلم يكن يتمتع بتأييده معظم القبائل، كما كان الخطر الوهابي يهدد حدوده الغربية، والقواسم يهاجمونه من الشمال، كذلك كانت السلطات البريطانية في الهند تنظر بغير ارتياح إلى الطريقة التي تولى بها الحكم وظلوا غير معترفين به زهاء عام واحد، ونظرًا لحاجته إلى حليف يدعم حكمه في الداخل، ويبعد عنه خصومه في الخارج(٦٢)، لذا بادر بكتابة رسالة إلى ديكان ينبئه بوصوله إلى الحكم، ورغبته في استمرار علاقات الصداقة بين مسقط وفرنسا، جاء فيها " الموجب لإملاء هذا الكتاب السؤال عن أحوالكم والتصفح عنها ثم لا يخفى على جنابك أن أخينا بدر بن سيف توفاه الله وأن الأمر صار إلينا من بعده ونحن وإياكم الحال واحد كما كنتم عليه مع الوالد سلطان من المحبة والصداقة فنحن عليها ثابتين(٦٣).

وحين تأزم الموقف بين إنجلترا وفرنسا أعلن حياده وإبعاد عمان عن الصراع القائم بين الدولتين، ومع ذلك فقد اضطر بضغط بريطانيا -التي كانت قد ركزت أقدامها عند أبواب عمان تقريبًا -إلى إرغام السفينة الحربية الفرنسية فيجيلانت Vigilant على الخروج من ميناء مسقط احترامًا لبنود معاهدة ١٧٩٨م، مما أسفر عن استيلاء إحدى السفن الإنجليزية على السفينة الفرنسية، فردت فرنسا بالاستيلاء على إحدى السفن العمانية (فيض الله) في محاولة لإعادة شيء من النفوذ الفرنسي في مسقط [٦٤]، فما كان من سعيد بن سلطان إلا أن أوفد مبعوثًا برسالة إلى دنكان في بومباي ليعاتبه فيها على هذا التصرف، جاء فيها: "وهذا هو دائمًا عمل رجالكم الذين دأبوا على إيذائي والنيل من كرامتي وانتهاك حرمة أراضينا رغم ما يلقاه رجالكم من حسن المعاملة" وقد تضمنت رسالتهطلبًا بالحماية البحرية أو إعادة السفينة الفرنسية المصادرة[٦٥].

كما أوفد في الوقت نفسه مبعوثًا آخر برسالة إلى ديكان بموريشيوس، وقال فيها: "الموجب لهذا التحرير أن هذا مركبنا فيض الله مع عبد اللطيف بن محمد واصلكم لقضاء بعض الأسباب في طرفكم فالمأمول من جنابكم لا ترفعون عنهم نظركم الشريف في جميع حوائجه. وبعد نخبركم أن وصل إلينا بوت -مركب -من خشبكم ودخل البندر والتقيناه بالحشمة والإكرام ..فلما قضا أشغاله بقي في البلاد مدة شهر ونصف، وقد ذكرنا له أن في البصرة منوار - فرقاطة بريطانية -وهم عن قريب يصلون وهذا أنت. وأنتم ما يخفاكم طغيان الانقريز -الإنجليز -وغرورهم وتعدياتهم في أطراف الهند ونواحيها، ونحن نجتهد معكم أشد الاجتهاد في تخليص البوت، وحين وقوع الأمر ما كنت في البندر كنت في عمان، فلما صار الأمر كتب لي العامل بالخبر كله فعند ذلك أرسلنا للانقريز كما ذكرنا.. والواصل إليك شيء حقير وهو بقشة داخلها شالين كشمير وقارورة عطر شامي وغرابتين ماي ورد وقفعه". وقد استطاع مبعوث السيد سعيد أن ينهي موضوع السفينة العمانية "فيض الله" ويرجع بها إلى مسقط[٦٦].

وتعد حادثة السفينة الفرنسية "فيجيلانت" بداية صفحة من علاقات الصداقة بين سعيد بن سلطان وفرنسا، حيث توالت بعدها دلالات التقارب والود، مثلًا أرسل مبعوثًا إلى جزيرة موريشيوس لشراء سفينة في يوليه ١٨٠٦م [٦٧]. وعندما اعترضت إحدى السفن الفرنسية طريق سفينة عمانية وهي في طريقها إلى كلكتا، واستولت على بعض حمولتها، أرسل سعيد بن سلطان مساعده ماجد بن خلفان برسالة إلى ديكان في أبريل ١٨٠٧م لاستعادة المسروقات، وجاء فيها "نرجو من جنابكم أن تعملون معنا عمل يرفع عنا شماتة العدو من جماعة الإنكليز لما سمعوا بفعلة قابوتان مركبكم .. ويقولون لنا هذي فعلة أصحابكم جماعة الفرانساوية الذي أنتم مستخصين بهم علينا وحاشا جنابكم أن ترضون بشماتتهم وفرحهم علينا.. وجنابكم تعلمون أن الذي محملنا على الجمالة مع جماعة الإنكليز من وقتٍ إلى وقت هو سبب قربهم إلى بلداننا وحاجتنا إلى بنادرهم وجنابكم بعيدين عننا وهذا الحال لا يخفى على مثل جنابكم والصديق الحقيقي لا يرضى بالضرر على صديقه والله يعلم بقلبنا وقلبكم حتى ينصر الله تعالى جناب عالي جاه المؤيد بالنصر نابليون"[٦٨].

كما أرسل سعيد بن سلطان مبعوثه ماجد بن خلفان إلى جزيرة موريشيوس في ٢٠ مايو ١٨٠٧م للتباحث مع ديكان بخصوص جميع الأمور الخاصة بالسيد سعيد ولتجديد الصداقة والمودة[٦٩]. وأهدى ماجد بن خلفان لديكان أربعة رؤوس خيل في ٢٤ مايو ١٨٠٧م، وقدم إليه كشف بالبضائع العمانية التي تم الاستيلاء عليها خلال عام ١٨٠٧م على يد الفرنسيين[٧٠]. وآخر بأسماء السفن المستولى عليها من قبل الفرنسيين، والتراخيص التي كانت تحملها تلك السفن[٧١]. وختم ماجد ابن خلفان وديكان لقائهما باتفاقية في ١٦ يونية ١٨٠٧م، نصت على نقاط كثيرة استهدف منها عودة علاقات الصداقة بين البلدين، وتحديد القواعد المفروضة على السفن العربية لاحترام الحياد في النزاع الذي كان قائمًا في ذلك الوقت بين فرنسا وإنجلترا، والبضائع التي يمكن اعتبارها مواد حربية مهربة، والسماح للمواطنين

العمانيين بالذهاب إلى موانئ الخصم البريطاني، ومنها إلى ميناء محايد، وكذلك اشترط التزام عمان باستقبال مندوب لفرنسا(٧٢).

وفيما يخص المندوب الفرنسي لدى مسقط، قدم السيد ماجد وعدًا لديكان بأن يتم استقبال مندوب فرنسي في مسقط، ولكن خوفًا من عمليات عدائية تقوم بها إنجلترا، اتفق الطرفان على أن توضع المادة المتعلقة بالمندوب الفرنسي في مسقط موضع التنفيذ بعد إحلال السلام بين فرنسا وإنجلترا(٧٣).

وربما كان تقارب سعيد بن سلطان من فرنسا راجع إلى تجاهل بريطانيا لطلبه لها بالحماية ومساعدتها له ضد الوهابيين -والذي ربما ارتأته يقحمها في منازعات داخلية مع أمراء الجزيرة العربية لا طائل منها -فكان رده على ذلك تلك الاتصالات الجريئة مع حاكم جزيرة موريشيوس، والسعي بجدية لنيل صداقة هذه القوة الكبرى – فرنسا -صاحبة الأمجاد في مصر، والتي تركت صداها في أرجاء العالم الإسلامي وقتذاك.

وكان سعيد قد تسلم ردًا من حكومة بومباي على طلب الحماية في أبريل ١٨٠٧م، جاء فيه بأن الطريقة المثلى للحفاظ على مصالح مسقط هي في اتخاذ موقف محايد، وبدلًا من أن ينحاز لبريطانيا عليه أن يسعى إلى عودة علاقات الصداقة مع فرنسا، وتشجيعًا له على ذلك فقد وعدت الحكومة البريطانية بإعادة السفينة الفرنسية "فيجيلانت". ولكن هذا الرد لم يكن مرضيًا لسعيد، حيث يُضعف علاقاته ببريطانيا، وأن كان من نتيجة الرد البريطاني وضع نهاية لتورط مسقط في الحرب بين الدولتين، كذلك تمادت عمان في علاقتها مع الفرنسيين دون أن يثير ذلك ردود فعل مضادة من جانب حكومة الهند. ولعل ذلك يرجع إلى أن مجلس إدارة شركة الهند الشرقية البريطانية كان قد اتخذ قرارًا في عام ١٨٠٧م بضغط المصروفات، وعدم الاستحواذ على أراض جديدة، وعدم التورط في منازعات مع الحكومات الأخرى خارج نطاق حكومة الهند البريطانية(٧٤).

والجدير بالذكر أن رغبة ديكان في استئناف علاقات الصداقة مع مسقط لم تكن بدافع الرغبة في تسوية الخلافات مع السيد سعيد أو تجار جزيرة موريشيوس فحسب، وإنما كان هناك دافعًا آخر وهو رغبة فرنسا في استرجاع ما ضاع من نفوذها في الشرق، فنابوليون لم يتخل عن أحلامه في إقامة امبراطورية شرقية، ولم ينس الدروس التي تلقاها في مصر، وبالتالي فإن إحراز أي نجاح في الشرق قد يدعم مركزه السياسي في أوروبا، وكانت محاولات فرنسا استعادة نشاطها الدبلوماسي في آسيا موجهًا في المقام الأول إلى تحييد روسيا في أوروبا عن طريق تحالف ثلاثي يعقد بين فرنسا وتركيا وفارس ضد الروس في آسيا، وبأن تكون الخطوة التالية كما تصور هي الزحف على الهند بالاشتراك مع روسيا والتواطؤ مع فارس، ومن ثم كان ينظر إلى أي سياسة شرقية فرنسية، على أساس ما قد تنطوي عليه مثل تلك السياسة من مكاسب(٧٥).

ولكن السيد سعيد لم يكن مستريحًا إلى القيود المفروضة على السفن العمانية في ترددها على موانى الهند، لذا فوض مبعوثه عبد القادر بن محمد الماجد في٢٩ ديسمبر ١٨٠٧م للتفاوض مع الفرنسيين حول الاتفاقية الموقعة بين السيد ماجد والجنرال ديكان(٧٦). ولما كان الجنرال ديكان حريصا على استمرار العلاقات الودية مع مسقط، فقد تم الاتفاق بين ديكان وعبد القادر على تغيير بعض بنود الاتفاقية السالفة الذكر، وصياغة اتفاقية جديدة في ١٧ يونية ١٨٠٨م، وبموجبها تم تعيين الميجر دالون Dallown وكيلا ومستشارا فرنسيا في مسقط(٧٧).

لقد كان السيد سعيد يرحب بالارتباط مع الفرنسيين باتفاقية لأن موريشيوس أصبحت في ذلك الوقت مركزًا خطيرًا من مراكز القراصنة، وهو ما يتضح من رسالة السيد عبد القادر الماجد للجنرال ديكان في ٢٩ أبريل ١٨٠٨م، والتي يشرح له فيها وضع المركب "فتح الخير" بعد أن استولت عليه البحرية الفرنسية(٧٨). وقد تمثل استعداد السيد سعيد للرضوخ للرغبات الفرنسية في موافقته على وضع سعر ثابت لقطعة النقد الفرنسية ذات الخمسين فرنك، وقد أضر سعر الصرف هذا بقيمة

الـريال النمـساوي المـسمى ريال (مـاري تريـزا)، والـدولار الإسـباني اللـذين كانـا العملتـين السائدتين في ممتلكات السيد سعيد(٧٩).

غيـر أنّ الحكومـة الفرنـسية لـم تـصادق علـى هـاتين الاتفـاقيتين؛ حيـث كانـت القـوانين الفرنـسية -الخاصـة بالحـصار القـاري -تحـرم علـى الـدول المحايـدة وعلـى حلفاء فرنسا الاتجار مع العدو(٨٠).

وعلـى الـرغم مـن الجهـود الكبيـرة التـي بـذلها ديكـان -الـذي كـان يعـي جيـدًا أهميـة مـسقط فـي أيـة عمليـة لغـزو الهنـد - لكـي يقنـع حكومتـه بـضرورة اسـتثناء بحـار الـشرق مـن تطبيـق سياسـة الحـصار الاقتـصادي لعـدم تعـادل قـوى الـدولتين المتـصارعتين، وأهميـة الاتفـاق مـع مـسقط خاصـة بعـد أن دخلـت الـدانمارك الحـرب مـع الحلفـاء وأصـبحت كـل الطـرق البحريـة التـي تـصل فرنـسا بمـستعمراتها فـي الهنـد مغلقـة، وإمكانيـة الاسـتفادة مـن الـسفن العمانيـة فـي القيـام بتلـك الاتـصالات، فـإن الحكومـة الفرنـسية أصـرت علـى ضـرورة مقاطعـة سـفن عمـان نهائيًـا لمـواني الإنجليـز فـي الهنـد، ويفـسر ذلـك عـدم فهـم بـاريس وتأييـدها لـسياسة رجالهـا العـاملين فـي المنطقـة، وهـو مـا يرجع لانعدام الانسجام بين المركز والأطراف(٨١)

ويبـدو أن الـسيد سـعيد بـن سـلطان قـد اسـتشعر حيـال عـدم مـصادقة بـاريس علـى المعاهـدة الأولـي مـع ديكـان فـي يونيـه ١٨٠٧م بأنـه قـد أخطـأ فـي اختيـار فرنـسا لتكـون حليفـة لـه، فعـاود الكتابـة إلـى دنكـان حـاكم بومبـاي فـي أغـسطس، وجـاء برسـالته "إنـه بعـون الله تعـالى سـأظل طالمـا بقيـت حيـا ملتزمًـا وأمينًـا للـصداقة والارتبـاط الوثيـق الـذي يـربط بيننـا وثقتـي بـالله أن لا يحـدث مـا يعكـر صـفو هـذه الـصداقة .. إن ثرواتـي وممتلكـاتي اعتبرهـا ملككـم كمـا أن كـل المنـاطق الواقعـة تحـت سـلطتي اعتبرهـا خاصـة بكم خاصة"(٨٢).

وإزاء التحركـات الفرنـسية خـلال الفتـرة (١٨٠٦-١٨٠٨م)، ومعاهـدات الـصداقة مـع عمـان، حـرص مـالكوم وهـو فـي طريقـه إلـى بوشـهر فـي ٣٠ أبريـل ١٨٠٨م، علـى النـزول بمـسقط ومقابلـة الـسلطان سـعيد، وأبلغـه أنـه علـى الـرغم مـن أن الحكومـة

البريطانية قد سمحت له بالاحتفاظ بعلاقاته مع الفرنسيين، فلا ينبغي له أن يفسر ذلك التساهل بما يرقى إلى تقديم المساعدات إلى الفرنسيين، أو التواطؤ معهم على حساب المصالح البريطانية، وعندما أبدى وزير السلطان دهشته من حديث مالكوم خاصة وأن حكومة الهند قد قررت أخيرًا أن تعتبر مسقط من الدول المحايدة في الصراع الفرنسي البريطاني، رد مالكوم بأن ذلك ربما يكون مقبولًا لو أن الفرنسيين لم يصلوا إلى أبواب الهند وشواطئها أو كانوا في مناطق بعيدة عن مسقط بحيث لا يستطيع السيد سعيد مساعدتهم، وإذا تبين أن السيد سعيد كان متعاونًا مع الفرنسيين فإن الحكومة البريطانية سوف تعده من الحكام المعادين لها(٨٣).

وقد استجابت حكومة بومباي لرأي مالكوم وسيتون بضرورة مساعدة السيد سعيد وإرسال حملة ضد القواسم في رأس الخيمة في ٢١ أبريل ١٨٠٩م، ولعل حكومة بومباي قصدت من هذه الحملة استعادة ثقة السيد سعيد بن سلطان في وقوفها بجانبه كي يتخلى عن طلب المساعدة من الفرنسيين، ومن ناحية أخرى كثفت بريطانيا نشاطها الدبلوماسي والبحري لتدارك مراوغة فرنسا(٨٤).

ولكن وفجأة انهار البناء الذي أعد بعناية واهتمام من قبل الفرنسيين، نتيجة انهزامهم في معركة "الطرف الأغر" أمام بريطانيا، وكجزء من حربها ضد فرنسا استولت بريطانيا على جزيرة البوربون في ٩ يوليه ١٨١٠م، وتبعها موريشيوس في ٣ ديسمبر من العام نفسه، وقد غادر على إثر ذلك الوكيل الفرنسي مسقط إلى فرنسا(٨٥).

وبسقوط موريشيوس – قاعدة العمليات الفرنسية في المياه الشرقية – انتهى النشاط الفرنسي في الخليج العربي والمحيط الهندي، وهذا ما أدى بالضرورة إلى تحول السيد سعيد بن سلطان نحو الإنجليز، والاستقواء بهم لمواجهة الوهابيين، ومن ثم بدأت صفحة جديدة من العلاقات البريطانية العمانية، بعيدًا عن التأثير الفرنسي لفترة من الزمن، تميزت بتبعية مسقط للنفوذ البريطاني.

الخاتمة:

وبعد .. فإن هذه الدراسة عكست ثقل عمان وأثرها في ميزان العلاقات والصراعات الدولية في أواخر القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر، وخاصة فيما يتعلق بالتنافس الأنجلو-فرنسي في بحار الهند خلال الفترة بين عامي ١٧٩٨-١٨١٠م؛ نستنتج منها ما يلي:

- نظرًا لأهمية موقع عمان فإنه يمكن القول بأن تاريخ عمان يحتل مكانة كبيرة في تاريخ العالم عامة، والخليج العربي خاصة بسبب كثرة الحروب والصراعات في المنطقة، مما جعلها محط أنظار العديد من القوى الاستعمارية؛ وهدفًا جيدًا للتنافس الإنجليزي الفرنسي لكسب تأييدها وخاصة عندما اشتدت مراحل الصراع بين الإنجليز والفرنسيين في بحار الهند والتي تعد مخططات نابوليون وحروبه في الشرق (١٧٩٨-١٨١٠م) أهمها، الأمر الذي جعل منعمان أن تكون دولة غير منعزلة وتربطها العديد من الصلات بالقوى العربية والعالمية.
- ويتضح جليا أن الحكام البوسعيديين أدركوا أن الزج بسلطنتهم في هذا الصراع لا طائل منه، وآثرت حكومة مسقط أن تتخذ موقفًا حياديًا نظرًا لارتباط مصالحها التجارية مع كل من القوتين المتصارعتين سواء في الهند أو في جزيرة موريشيوس، في الوقت الذي كانوا بحاجة إلى دعم خارجي للتغلب على خصومهم والأخطار المرابطة على حدودهم من القواسم والوهابيين، لذا تتطلعوا إلى المساعدة من كل منهما دون إغضاب الأخرى، وإن ظهر في أغلب الأحيان ميل واضح تجاه الفرنسيين، والمحافظة على نوع من العلاقات معهم أثارت مخاوف الإنجليز، ولكن سرعان ما كانوا يوازنون علاقاتهم بأي من القوتين -بريطانيا وفرنسا – خوفًا من أن يؤدي تفضيل فرنسا إلى تحالف بريطانيا مع خصوم عمان من العرب.

- وبشكل عام يمكن القول إنهكان لفرنسا الأسبقية في علاقتها بمسقط، إلا أن العلاقات الفرنسية العمانية لم تلبث أن تعرضت لضربة حينما أتت سياسة بونابرت في الشرق بعكس ما كانت تهدف إليه، إذ ساعدت بطريقة غير مباشرة على تدعيم المركز البريطاني في بحار الشرق.
- وقد ارتأت فرنسا –وفقًا لسياسة نابوليون وتاليران –في الشرق الميدان الوحيد أمامها لتحقيق أطماعها في التوسع والاستعمار؛ لذا أقدمت على احتلال مصر، التي كانت إلى جانب أهميتها تخدم أهدافًا أخرى أكثر أهمية، إذ يتيح تحويل التجارة من طريق رأس الرجاء الصالح إلى خليج السويس إمكانية انقضاض فرنسا على الوجود البريطاني في الهند.
- وقد استمر الاهتمام البريطاني السياسي والعسكري يتزايد بمنطقة الخليج العربي بعد زوال التهديدات الفرنسية للإنجليز، وذلك بنجاحهم في إجلاء الحملة الفرنسية من مصر في عام ١٨٠١م، ثم بإسقاطهم للمستعمرة موريشيوس –معقل النفوذ الفرنسي في المياه الشرقية – وساد النفوذ البريطاني الساحل الجنوبي للخليج بما في ذلك سلطنة عمان.
- كما يتضح من الدراسة أنه برغم ما حققته الدبلوماسية الفرنسية في كثير من الأحيان، فإن الحكومة الفرنسية لم تأخذ بنصائح ممثليها في الخليج العربي، حيث كان روسو وماجالون وديكان قد فهموا واستوعبوا أسباب السياسة العربية ونتائجها، ولكن انعدام التواصل والتوافق بين المركز والأطراف جعل باريس تعصف بهذا الحلم الفرنسي في الشرق الذي تم الاعداد له بعناية ودقة، وغدا واضحًا للعيان أن الفرنسيين أعجز من أن ينهجوا سياسة قوية مقبولة نحو الشرق، بل اتضح أن فرنسا لا تملك إمكانات التصدي للنفوذ البريطاني المتزايد، حيث أثبت الإنجليز قوة سياستهم تجاه دول وشعوب المنطقة العربية، وأدركت إنجلترا أن أمن إمبراطوريتهم الاستعمارية في العالم يمر بالخليج العربي، فجعلته بحرا لها ومنطقة محرمة على الآخرين، وكبلت شيوخ الخليج بمعاهدات واتفاقيات تحرمهم من حرية الحركة، كما اتقنت انتهاج سياسات ذات وجهين لكسب كل الأطراف، فضلًا عن استغلال

المبررات والدوافع الإنسانية لدى الرأي العام الدولي لترسيخ سيطرتهم على المنطقة، وأخيرًا لجوئها إلى البديل العسكري في حالة إخفاق الجانب الدبلوماسي.

- ويمكن القول إن معاهدتي ١٧٩٨ و١٨٠٠م مع سلطان مسقط، كانتا أول عمل إنجليزي من سلسلة نشاطات سياسية كان من نتائجها إحكام الإنجليز قبضتهم على الخليج العربي عامة ومسقط خاصة؛ حيث اعتمدتها بريطانيا مركزًا استراتيجيًا لا يمكن الاستغناء عنه أو التنازل عنه لأي قوة أجنبية، وهي -بموقعها المتميز – تمثل النقطة التي يجب أن تبقى آمنة في الطريق إلى مستعمراتها الهندية، ومن الممكن استخدامها قاعدة بحرية متقدمة لاستطلاع تحركات فرنسا وغيرها من المنافسين لها في شمال المحيط الهندي، وهو ما اتضح جليًا في فترة لاحقة لفترة الدراسة – أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين -والتي تميزت باشتداد المنافسة الاستعمارية الأوروبية على منطقة الخليج العربي.
- من المغالطات التي وقعت فيها العديد من الدراسات أن نابوليون أرسل خطابين في ٢٥ يناير ١٧٩٩م؛ أحدهما إلى سلطان مسقط والثاني إلى فاتح تيبو سلطان – حاكم إمارة ميسور -، لكن بالرجوع إلى نص الرسالة المنشور في وثائق المملكة العربية السعودية في التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، تبين أن نابوليون بعث بخطاب واحد موجه إلى تيبو سلطان عن طريق سلطان مسقط، بالنظر إلى معرفته بالعلاقات الطيبة التي تجمع الرجلين، وقد تضمن الخطاب في مطلعه عبارات موجهة لسلطان مسقط -في محاولة من الجنرال الذي عرف بفطنته ودهائه لكسب صداقة وود سلطان مسقط – ويطلب من خلالها توصيل الرسالة إلى صاحبها في الهند.

الهوامش

(١) محمد على الفرا، العلاقات الاقتصادية بين فرنسا والخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الثانية، العدد السابع، يوليو ١٩٧٩م، ص١١١.

(٢) جمال زكريا قاسم، دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١-١٨٦١م، (القاهرة، ١٩٦٧م)، ص ص٣١-٣٢.

(٣) محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط ٢، (القاهرة، عين للدراسات والدراسات الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م)، ص٩٢.

(٤) إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٧م)، ص٢٣٣.

(٥) السيد رجب حراز، افريقيا الشرقية والاستعمار الأوربي، (القاهرة، ١٩٦٨م)، ص٥٣.

(٦) صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج الفارسي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦م)، ص٢١.

(٧) روبرت جيران لاندن، عمان منذ ١٨٥٦ مسيرًا ومصيرًا، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الخامسة، (سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافي، ١٩٩٤م)، ص٣٧.

(٨) بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط١، (الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٨م)، ص٤٠.

(٩) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص٣٣.

(١٠) السيد رجب حراز؛ ومحمد انيس، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٧م)، ص١٠١.

(١١) وثائق المملكة العربية السعودية، عرض حكومة المملكة العربية السعودية في التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، المجلد الأول، ١٩٥٥م، ص ص١٠٨-١٠٩.

(١٢) عبد العزيز نوار، وثائق تاريخ العرب الحديث: النهضة العربية الحديثة، ط١، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م)، ص١٣٢.

(١٣) وليد محمد جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، ط١، (الدوحة: دار الثقافة، ١٩٨٦م)، ص٤٧.

(١٤) ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة: عصر نابليون، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، المجلد الحادي عشر، (بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م) ص١٤٥٦٣.

(١٥) نيقولا الترك، ذكر تملك جمهور الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية، تحقيق: ياسين سويدان، (لبنان: الفارابي، ١٩٩٠م)، ص ص٢٦-٢٧.

(١٦) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص١٥٣.

(١٧) فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر، (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨١)، ص٢٥.

(18) Thomans E. Marston, the Britain's Imperial Rote in the Red Sea Area "1800-1878", U. S. A: the Shoe String Press, 1961, p. 31.

(١٩) سيد نوفل، الاوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٧٢م)، ص ص٦٢-٦٣.

(٢٠) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص١٥٣.

(٢١) وزارة الاعلام العمانية، عمان في التاريخ، (سلطنة عمان، ١٩٩٥م)، ص ص٤٥٢-٤٥٣.

(22) R. W. Baily, Record of Oman 1867-1947, Archive editions, Vol VI, Foreign Relations, England, 1988, pp.579-580.

(٢٣) جون كيلي، بريطانيا والخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، ج١، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة)، ١٩٧٩م، ص١٠٨.

(24) A. Auzoux, La France et Muscate aux dix-huitieme et dix-neuvieme siècles, Revue d'histoirediplomatique, Tome XXIII, Paris, 1909, pp. 250-251.

(٢٥) أرنولد ويلسن، الخليج العربي، ترجمة محمد أمين عبد الله، ج١، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ت)، ص١٦٩.

(26) J. G. Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Vol 1, Calcutta 1915, p. 427.

(27) Ibid.

(٢٨) جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٩م)، ص٢٥.

(29) Reginald Coupland, India, Oxford 1945, p. 23.

(٣٠) جون ويلكنسون، مسقط حاضرة الساحل والمحيط، مجلة التسامح، سلطنة عمان، ٢٠٠٧م.

(31) J. G. Lorimer, op. cit, p. 156.

(٣٢) محمد عودة، الحملة الفرنسية على مصر نحتفل ولا نحتفل، ط١، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٩٩م)، ص٩.

(٣٣) محمود أبو العلاء، موانئ سلطنة عمان قديمًا وحديثًا، الكويت، ١٩٨٥م، ص٢٤.

(٣٤) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي من بداية العصور الحديثة حتى أزمة ١٩٩٠-١٩٩١، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٣م)، ص٧٢.

(35) CF Correspondence de Napoleon, Tome III, p.361.

عن وثائق المملكة العربية السعودية، المصدر السابق، ص١١٢.

(36) J. G. Lorimer, op. cit, pp. 424-428.

(٣٧) جون كيلي، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٣٨) A. Auzoux, op. cit, p. ٢٤٠.

(٣٩) جون كيلي، المرجع السابق، ص١٠٤.

(٤٠) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص١١٥.

(٤١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي: دراسة وثائقية، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨١م)، ص١٠٨.

(42) Arnold T. Wilson, The Persian Gulf, London, 1928, p.232.

(٤٣) إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص٢٤٢.

(٤٤) ويندل فيليبس، تاريخ عمان، ط٢، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٣م)، ص٨٩.

(45) Robert Grant Watson, History of Persia from the beginning of the 19th century to the year 1858, London, 1866, p. 127.

(٤٦) عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ص١٨٨.

(47) A. Auzoux, op. cit, p. ٢٤٦.

(٤٨) عبد الأمير عبد الكريم، الاطماع العالمية في الخليج العربي، (جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، السلسلة الخاصة ٧٥، ١٩٨١م)، ص ص٢٣-٢٤.

(٤٩) وثائق المملكة العربية السعودية، المصدر السابق، ص١١٦.

(٥٠) نفسه، ص١١٥.

(٥١) صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨٠١م، (بغداد، ١٩٧٩م)، ص١٧٤.

(52) A. Auzoux, op. cit, p. 242.

(٥٣) دونالد هولي، عمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد وآخرون، (مؤسسة ستايس الدولية، لندن، د.ت)، ص٤٦-٤٧.

(٥٤) جون كيلي، المرجع السابق، ص١١٦.

(55) R. W. Baily, op. cit, p. 580.

(٥٦) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص١١١.

(57) Charles Guillain, Documents surl'histoire La Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale, Tome 1, Paris, 1856, pp. 208-209.

(٥٨) أرنولد ويلسن، المرجع السابق، ص٣٧٩.

(٥٩) رودلف سعيد روت، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١-١٨٥٦م، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، (جامعة البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٣، ص١٣٧.

(٦٠) جون كيلي، المرجع السابق، ص١١٨.

(٦١) وثائق المملكة العربية السعودية، المصدر السابق، ص١١٦.

(٦٢) جون كيلي، المرجع السابق، ص١١٨.

(63) MUNICIPAL LIBRARY, CAEN, Bibliotheque Municipal Caen (FRANCE), Manuscript Department: Collection of papers of General Decaen, Vol. 98, fol. 61.

عن الوثائق العربية العمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية، (جمع وتحقيق سلطان محمد القاسمي)، ط١، ١٩٩٣م، ص٣١.

(٦٤) سمير محمد أبو ياسين، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨-١٨٥٦م، (جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨١م)، ص ص٦٣-٦٤.

(٦٥) جون كيلي، المرجع السابق، ص١١٩.

(66) MUNICIPAL LIBRARY, CAEN, Bibliotheque Municipal Caen (FRANCE), Manuscript Department: Collection of papers of General Decaen, Vol. 98, fol. 61.

عن الوثائق العربية العمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية، المصدر السابق، ص٣١.

(67) Ibid, Vol. 98, fol. 94.

عن المصدر السابق، ص35.

(68) Ibid, Vol. 97, fol. 143.

عن المصدر السابق، ص39.

(69) Ibid, Vol. 97, fol. 253.

عن المصدر السابق، ص49.

(70) Ibid, Vol. 98, fol. 86.

عن المصدر السابق، ص53.

(71) Ibid, Vol. 98, fol. 100.

عن المصدر السابق، ص59.

(72) Ibid, Vol. 98, fol. 57-58.

عن المصدر السابق، ص69.

(73) Ibid, Vol. 98, fol. 56.

عن المصدر السابق، ص79.

(٧٤) جون كيلي، المرجع السابق، ص ص١٢١-١٢٢.

(٧٥) نفسه، ص١٢٢.

(76) MUNICIPAL LIBRARY, CAEN, Bibliotheque Municipal Caen (FRANCE), Manuscript Department: Collection of papers of General Decaen, Vol. 98, fol. 38.

عن الوثائق العربية العمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية، المصدر السابق، ص103.

(77) R. W. Baily, op. cit, p. 581.

(78) MUNICIPAL LIBRARY, CAEN, Bibliotheque Municipal Caen (FRANCE), Manuscript Department: Collection of papers of General Decaen, Vol. 98, fol. 134.

عن الوثائق العربية العمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية، المصدر السابق، ص129.

(٧٩) رودلف سعيد روت، المرجع السابق، ص١٤٦.

(80) A. Auzoux, op. cit, p. 261.

(٨١) رودلف سعيد روت، المرجع السابق، ص١٤٧.

(٨٢) صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص٢٤٦.

(٨٣) جون كيلي، المرجع السابق، ص ص١٣٨-١٣٩.

(٨٤) صالح محمد العابد، المرجع السابق، ص٢٩٠.

(85) R. W. Baily, op. cit, p. 581.

مصادر البحث:

أولًا: وثائق باللغة العربية

- الوثائق العربية العمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية، (جمع وتحقيق سلطان محمد القاسمي)، ط١، ١٩٩٣م.
- وثائق المملكة العربية السعودية، عرض حكومة المملكة العربية السعودية في التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، المجلد الأول، ١٩٥٥م.

ثانيًا: الوثائق الأجنبية المنشورة:

- Baily R. W., Record of Oman 1867-1947, Archive editions, Vol VI, Foreign Relations, England, 1988.

ثالثًا: مراجع باللغة العربية

- إبراهيم، عبد العزيز عبد الغني، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي: دراسة وثائقية، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨١م).
- أبو العلاء، محمود، موانئ سلطنة عمان قديمًا وحديثًا، الكويت، ١٩٨٥م.
- أبو ياسين، سمير محمد، العلاقات العمانية البريطانية ١٧٩٨-١٨٥٦م، (جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨١م).
- الترك، نيقولا، ذكر تملك جمهور الفرنساوية الاقطار المصرية والبلاد الشامية، تحقيق: ياسين سويدان، (لبنان: الفارابي، ١٩٩٠م).
- جرادات، وليد محمد، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، ط١، (الدوحة: دار الثقافة، ١٩٨٦م).
- حراز، السيد رجب، افريقيا الشرقية والاستعمار الأوربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- حراز، السيد رجب؛ ومحمد انيس، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٧م).
- الخصوصي، بدر الدين عباس، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط١، الكويت، ذات السلاسل، ١٩٨٨م.
- ديورانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة: عصر نابليون، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرون، المجلد الحادي عشر، (بيروت، دار الجيل، ١٩٨٨م).
- روت، رودلف سعيد، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ١٧٩١-١٨٥٦م، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، (جامعة البصرة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٣م).

- طه، جاد، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٦٩م).
- العابد، صالح محمد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨٠١م، (بغداد، ١٩٧٩م).
- العابد، فؤاد سعيد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر، (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨١).
- عبد الكريم، عبد الأمير، الاطماع العالمية في الخليج العربي، (جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، السلسلة الخاصة ٧٥، ١٩٨١م).
- العقاد، صلاح، الاستعمار في الخليج الفارسي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٦م).
- ـــــ، التيارات السياسية في الخليج العربي من بداية العصور الحديثة حتى أزمة ١٩٩٠-١٩٩١م، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٣م).
- عودة، محمد، الحملة الفرنسية على مصر نحتفل ولا نحتفل، ط١، (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٩٩م).
- العيدروس، محمد حسن، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط ٢، (القاهرة، عين للدراسات والدراسات الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م).
- الفرا، محمد على، العلاقات الاقتصادية بين فرنسا والخليج العربي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، السنة الثانية، العدد السابع، يوليو ١٩٧٩م.
- فيليبس، ويندل، تاريخ عمان، ط٢، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٣م).
- قاسم، جمال زكريا، دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ١٧٤١-١٨٦١م، (القاهرة، ١٩٦٧م).
- كيلي، جون، بريطانيا والخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، ج١، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة)، ١٩٧٩م.
- لاندن، روبرت جيران، عمان منذ ١٨٥٦م مسيرًا ومصيرًا، ترجمة محمد أمين عبد الله، الطبعة الخامسة، (سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافي، ١٩٩٤م).
- نوار، عبد العزيز، وثائق تاريخ العرب الحديث: النهضة العربية الحديثة، ط١، (القاهرة: عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٢م).
- نوفل، سيد، الاوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، (القاهرة: دار المعرفة، ١٩٧٢م).
- هولي، دونالد، عمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد وآخرون، (مؤسسة ستايس الدولية، لندن، د.ت).
- وزارة الاعلام العمانية، عمان في التاريخ، (سلطنة عمان، ١٩٩٥م).

- ويلسن، أرنولد، الخليج العربي، ترجمة محمد أمين عبد الله، ج١، (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، د.ت).
- ويلكنسون، جون، مسقط حاضرة الساحل والمحيط، مجلة التسامح، سلطنة عمان، ٢٠٠٧م.
- ياغي، إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٧م).

ثالثًا: المراجع الأجنبية

- Auzoux, A., La France et Muscate aux dix-huitieme et dix-neuvieme siècles, Revue d'histoire diplomatique, Tome XXIII, Paris, 1909.
- Coupland, Reginald, India, Oxford 1945.
- Guillain, Charles, Documents sur l'histoire La Geographie et le Commerce de l'Afrique Orientale, Tome 1, Paris, 1856
- Lorimer, J. G., Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia, Vol 1, Calcutta 1915
- Marston, Thomans E., the Britain's Imperial Rote in the Red Sea Area "1800-1878", U. S. A: the Shoe String Press, 1961.
- Watson, Robert Grant, History of Persia from the beginning of the 19th century to the year 1858, London, 1866.
- Wilson, Arnold T., the Persian Gulf, London, 1928.

The role of Oman in the Anglo-French conflict
In the East (1798-1810)

Abstract:

This paper aim to talk about Oman – which had a distinguished position, which no other Arabic country in Arabic gulf could have – and its impact in the international relations and conflicts in the late eighteenth century. The study focused on the Anglo – French competition in India's seas during the period between (1798-1810), which named Napoleonian period in the Middle East that started with French campaign on Egypt 1798, and ended by the loss of French to the island of Mauritius 1810. The study of Oman's role in the Anglo – French conflict in the East during this period through the documentary resources has a great importance as a model in understanding the reality of the policy of the colonial powers in an effective part of the Arab region to achieve their expansionist ambitions after the economic and industrial developments there. The political and strategic importance of the Arabic Gulf increased by the appearance of the Indian Empire in the late Eighteenth century. The gulf transformed to one of the main Eastern English policy resources, which aimed to secure the road to India and prevent any major power to impose control on the Red Sea and the Gulf. As well as this study gives a close – up on the policy of Oman's rulers and their try to committed the neutrality in the Anglo – French conflict ,and this was so difficult because of the strategic and geographical location of Muscat which made it a good goal of Anglo – French competition to gain its support. Away from talking about the details of the political developments that the country experienced during this period as the researcher just referred to it, and the study ends by showing some conclusions reached by the researcher.

Key words: Oman, Arabic gulf, England, France, India.